طب وجراحة الأورام في الحضارة الإسلامية

خيرية مصطفى السيوي[1]
كلية الاداب جامعة مصراتة

عبد الله سالم بازينة
كلية الاداب جامعة مصراتة

محمد أحمد الفقيه
المعهد القومي للأورام مصراتة

تاريخ التقديم: 11-10-2021، تاريخ القبول: 22-11- 2021، نشر إلكترونيا في 23-11-2021
https://doi.org/10.36602/faj/2021.n.18.12

ملخص البحث:

الأورام هي نوع من الأمراض الشائعة أو المزمنة التي واجهت الإنسان منذ القدم، حيث عُثر في مصر على أقدم وصف وعلاج للأورام يرجع إلى عام 1600ق.م تقريبا لعدد من الحالات علي أوراق البردي مكتوب في نهايتها لا يوجد علاج لهذا المرض، كما عرف الإغريق تشخيص هذا المرض ومنهم ابقراط (460-370ق.م) الذي يذكر أنه أول من شخّص الأورام، حيث دعاها بالأورام الخبيثة، حتى أن أصل كلمة ورم من الكلمة (onklogic) من اللغة اليونانية (onkos) والتي تعني الورم أو الحجم أو الكتلة، ولذلك يطلق على دراسته علم الأورام، وبعد حركة الترجمة والنقل التي شهدتها الخلافة الإسلامية في عصرها الذهبي تُرجمت المخطوطات اليونانية، فشاع هذا المصطلح وصحح العلماء المسلمون الكثير من المفاهيم المغلوطة في الطب وقدموا الشروح الكثيرة والكتب في هذا المجال، حيث ذكروا فيها العوامل والأسباب؛ المسببة للأورام كما شرحوا طرق علاجاتها، ثم ظهرت جراحة استئصال الأورام واخترعوا كثيراً من الآلات الجراحية.

الكلمات المفتاحية: *الأورام، السرطان، الحضارة الإسلامية، الطب.*

[1] Kh.alsiwi@art.misuratau.edu.ly

ISSN 2664-1682

Oncology Treatment in Islamic Civilization

Khayriyah Mustafa Al Siwi **Abdullah Salem Bazina**
Faculty of Arts, Misurata University

Mohamed Ahmed Al-Faqih
National Cancer Institute Misurata

Abstract

Tumors are a type of common or chronic diseases that have confronted man since ancient times. The oldest description and treatment of tumors were found in Egypt, dating back to the year 1600 BC. AD, for a number of cases on papyrus written at the end of which "there is no cure for this disease", as the Greeks knew the diagnosis of this Disease, including Hippocrates (460-370 BC), who mentions that he was the first to diagnose tumors, calling them malignant tumors, so that the word tumor comes from the word (onklogic) from the Greek language (onkos), which means tumor, size or mass, so it is called His study of oncology, and after the movement of translation and transmission that the Islamic Caliphate witnessed in its golden age, the Greek manuscripts were translated. Then there was surgery to remove tumors and they invented many surgical instruments.

Keywords: *tumors, cancer, Islamic civilization, medicine.*

1. المقدمة

كان مرض السرطان ولا يزال موضوعاً مثاراً للدراسة والنقاش، فهو من أخطر الأمراض التي عرفها الإنسان، إلا أن الاختلاف والجدال كان في فترة ظهور الورم، فمنهم من يقول عرف في فترة ما قبل الميلاد، والبعض الآخر يرى أن اكتشافه كان بتطور الطب

ISSN 2664-1682

في عصر الحضارة الإسلامية، حيث كان للأطباء المسلمين دوراً بارزاً في تطوره، فظهر العديد من الأطباء المسلمين المتخصصين في هذا الجانب من الطب، ومع مرور الزمن تطورت طرق علاجه وكيفية الحد من انتشاره، بالحث على مجموعة من النصائح الصحية واتباعها، ولقد سجل تاريخ الحضارة الإنسانية دور العلماء المسلمين الأوائل في مختلف ضروب الثقافة والعلوم، وبفضل الترجمة من اللغات الأجنبية خاصة من اليونانية والفارسية والهندية إلى العربية، نضجت ملكات المسلمين في البحث والتأليف واتسع أفق الفكر الإسلامي بارتحال المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، بعكس أوروبا التي كانت تعيش في ظلام العصور الوسطى وتقع تحت سيطرة الكنيسة، التي كانت ترى أنها المسؤولة على شفاء الأمراض، وكانت تنظر بعين الاحتقار إلى كل من يمارس مهنة الطب باليد، حتى جس النبض اعتبر أمراً مهيناً، وحرّمت على رجالها ممارسته "وأنه لمشين حقاً أن يعمل الطبيب بيديه" (هونكه، 1990، ص ص219–220)، ولا أدل على تخلف الطب في أوروبا؛ إصدار الملك (ثيودور) أحد ملوك القوط الغربيين أمراً: "أنه إذا توفي المريض نتيجة لعملية جراحية، فإن الطبيب الذي أجرى العملية يسلم لأهل المتوفى ، ولهم الحرية ليفعلوا به ما شاؤا، سواء قتله أو استرقاقه مدى الحياة" (فروخ ،1990، ص71)، حتى أن المدارس الطبية كانت تخشي ممارسة تعليم الجراحة وينظرون إليها بكل احتقار، ولأنها لا تليق بالأطباء المحترمين أصدر مجلس تورس البابوي قراراً يوجب على المدارس الطبية أن يهملوا تعليم الجراحة (طوقان، د.ت، ص25)، وبينما هذه الحال في أوروبا من اعتبار الجراحة من الأمور غير المقبولة أو المسموح بها وكان الإقبال على الجراحة في أوروبا محدوداً جداً؛ كان التنافس العلمي على أشده بين الأطباء المسلمين، وظهر الأطباء الجراحون المرموقون في العالم الإسلامي (حلاق ، 1990، ص40).

ISSN 2664-1682

1.1 اشكالية البحث:

وتكمن اشكالية الدراسة في سؤالها الرئيسي وهو:

ما قدم مصطلح الأورام؟ وهل كان شائعاً عند الأطباء المسلمين؟ وما مدى مساهمة الحضارة الاسلامية في طب وجراحة الأورام؟

1. 2 أسئلة البحث:

- ما هو مصطلح الأورام؟ وهل استعمل هذا المصطلح في الحضارة الإسلامية أم ظهر حديثاً؟
- من هم أبرز الأطباء المسلمين في هذا المجال؟
- ما هو دور الطب والجراحة في القضاء على الورم؟

1. 3 أهداف البحث:

- التعرف على الجذور التاريخية لظهور مصطلح الأورام.
- تحديد العصر الإسلامي لتطور ودراسة هذا المرض.
- معرفة الطرق العلاجية التي اتبعها الأطباء في معالجة الأورام.
- بيان دور الأطباء المسلمين وما قدموا من إسهامات كبيرة في تاريخ الطب عامة والجراحة خاصة وابتكارهم للعديد من الآلات والأدوات الجراحية وطرق استعمال كل واحدة منها، وإجراءهم العمليات الجراحية الناجحة في مختلفة أجزاء الجسم ما يدل على خبرتهم الطبية الواسعة في علم الجراحة.

ISSN 2664-1682

– إبراز دور الطبيب المسلم كجراح لما تركه لنا من مآثر طبية ساهمت بشكل أو بآخر في ازدهار هذا العلم في العالم الإسلامي، وإلى أي مدى استفادت أوروبا من آار ومؤلفات العلماء المسلمين.

4.1 أهمية البحث:

تكمن أهمية الموضوع: في كون الطب مظهراً من مظاهر الحضارة الإنسانية التي يجب الاهتمام به ودراسته وأنه من المهن الإنسانية التي لها دور كبير في استمرار حياة البشر، وتبين دور الأطباء المسلمين وما قدموه من جهود جبارة في هذا الجانب الحضاري، وإعطاء فكرة عن دورهم الذي ساهم بشكل كبير في ازدهار الطب بصفة عامة والجراحة بصفة خاصة، فموضوع الطب في طبيعته شيق له أهمية ورونق خاص يشدّ انتباه كل باحث.

كما تكمن أهمية البحث في كونه يسلط الضوء على اشكالية يعاني منها مجتمعنا في الوقت الحالي من كثرة انتشار الأورام السرطانية، فهي محاولة لبحث في التاريخ الإسلامي عن جذور هذا المرض ومدى اسهامات الأطباء المسلمين في طب وجراحة الأورام، وما تركوا لنا من آثار حميدة وجليلة في هذا العلم، وخاصة الجراحة ودورها في القضاء على الورم.

2. المنهج والإجراءات:

1.2 منهج البحث:

تنتهج هذه الدراسة: المنهج التاريخي الذي يعتمد على جمع النصوص من المصادر والمراجع ودراستها، وتحليلها، لغرض الوصول إلى نتائج علمية وتاريخية واضحة تحقق الأهداف المرجوة من الدراسة.

قسم البحث إلى مقدمة وتمهيد، وثلاثة مباحث وخاتمة، وقائمة المصادر والمراجع.

ISSN 2664-1682

2.2 عرض مبسط لخطة البحث، التمهيد:

ويتضمن بعض التعريفات لعلم الطب، ثم نبذة مختصرة عن بدايات الطب عند العرب من أيام الجاهلية حتى الحضارة الإسلامية. ويتضمن **المبحث الأول**: أولاً تعريف الأورام، ثانياً ظهور المرض، ثالثاً أشهر الأطباء في هذا المجال، **أما المبحث الثاني**: بعنوان العوامل والأسباب المؤدية إلى انتشار الأورام في رأي الأطباء المسلمين، ومقسم إلى: أولاً العوامل، ثانياً الأسباب، **والمبحث الثالث**: عنوانه طرق علاجه في الحضارة الإسلامية، ثم الخاتمة للوصول إلى أهم نتائج الدراسة وقائمة المصادر والمراجع.

3. هيكل البحث:

منذ أن وجد الإنسان على وجه الأرض وجدت معه الرغبة في العلاج والتخلص من الأمراض والآلام، ونجد هذه الرغبة الغريزية واضحة عند الحيوان فهو يتمرغ في التراب للتخلص من الحشرات، كما يلعق جروحه عند اصابته، ولا نعرف بدقة متى وأين نشأ الطب على وجه الدقة، فهو وليد بيئات وأقاليم مختلفة، وهو يعد من أشرف العلوم وأشدها ارتباطاً واتصالاً بالإنسان (مرحبا، 1998، ص71)، وكثيراً من مؤرخي العلوم وعلى رأسهم جورج سارتون في كتابه (تاريخ العلم) يرجّح أن النساء هن أول من تعاطين صناعة الطب وفن العلاج وذلك بحكم اتصالهن بالأرض وممارسة أعمال الفلاحة والزراعة، مما أتاح لهن علماً أوسع بالنبات، كما كن يتقن مهنة وفن التوليد أقدم المهن الطبية على الإطلاق (مرحبا، 1998، ص72). ونتيجة للخطر الذي تتعرض له المرأة أثناء الولادة اضطر الإنسان إلى تحسين وسائل المعالجة ومنها على سبيل المثال: ما عرف في العهد الروماني باسم العملية القيصرية التي اتخذت اسمها من الإمبراطور قيصر (فروخ، 1990، ص158).

ISSN 2664-1682

وكان لليونانيين خبرة طويلة وكبيرة بالطب، شاع ذكر أطباء منهم (اسقليبيوس) فهو أول من اعتنى بالطب عن طريق التجربة، و(ابقراط)[1] المعلم السابع، رتّب الطب وبناه على أسس علمية وطهّره من الخرافات والأساطير، و(جالينوس)[2]، أشهر الأطباء الإغريق وعالم التشريح، ألف كتباً في الطب ووضع 17 مقالة في تشريح الموتى والأحياء، اعتمد عليه كثيٌر من أطباء المسلمين في دراسة التشريح،ويسجل التاريخ أن هيروفيلوس300 ق.م، وإيرازستراتوس250ق.م، كانا قد شرّحا الجسم البشري علنا (أحمد، 1990، ص141).

ويمكن القول عن الطب في فترة الحضارة الاسلامية بأنه: مجموعة الآراء العلمية الطبية التي كتبها الأطباء المسلمون والمستوحاة من الطب اليوناني (موراني، 1974، ص58). كما أنه علم نظري وعملي، لما فيه من حفظ الصحة ودفع العلل والأمراض (حلاق، 1989، ص79)، فالطب من العلوم المطلوبة في كل زمان ومكان لما له من صلة في حياة الإنسان (جواد، 1989، ص380). فالجسم البشري يتعرض للأمراض والحوادث، فكان لابد من العلاج لإزالة الآلام (الفاضل، 1989، ص380).

وعرف العرب الطب من أيام الجاهلية عندما خالطوا الروم والفرس وأخذوا بعض معارفهم الطبية (ابن أبي أصيبعة، 1981، ص110)، فمنهم النضر بن الحارث بن كلدة (ت2هـ /623م) وهو ابن خالة الرسول ﷺ الذي عاشر الأحبار والكهنة وأخذ صناعة الطب عن أبيه وعن غيره (الشطشاط، 1995، ص99)، وأيضاً الحارث بن كلدة الثقفي (ت13هـ/ 634م) وهو من أهل الطائف درس الطب بناحية فارس في مدرسة

(1) ابقراط: صاحب نظرية الأخلاط الأربعة؛ أن البدن يتكون من أربعة أخلاط الدم والبلغم والصفراء والسوداء، ولد بمدينة كور بأحدى جزر اليونان ابن المطران (ابن إياس، 1993، ص247).

(2) جالينوس: ولد بمدينة برجامون (130–200م) درس في اليونان وآسيا الصغرى والإسكندرية، وأقام في روما في بلاط ماركو أوريليوس، له إضافات في علم الوظائف والتشريح والأعصاب والمخ والحبل الشوكي (ابن المطران، د.ت، ص52).

ISSN 2664-1682

جنديسابور[1]، ونال عيادة كسرى الفرس (انوشروان) (أحمد، 1990، ص143)، وقد تخصص (الحارث) في علم الصحة وأوصى بعدم الإفراط في الطعام، كما أوصى بالحجامة، وبقى حتى أيام الرسول ﷺ وأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي بن أبي طالب، ومعاوية رضي الله عنه (الأندلسي، 1985، ص126)، ويذكر ابن أبي أصبيعة أن الرسول" ﷺكان يوصي بالتطبيب عنده (أحمد، 1990، ص142)، وله كتاب اسمه: المحاورة في الطب (ابن أبي أصيبعة، 1981، ص111)، وتتحدث المصادر كذلك عن بعض النسوة ممن مارسن الطب في الجاهلية وأدركن الإسلام وقمن بدور بارز في مداواة المرضى ووقف النزيف أثناء غزوات الرسول"صلى الله عليه وسلم" عُرفن بالآسيات، يقمْنَ بمواساة الجرحى والتخفيف عنهم (أحمد، 1990، ص144)، ومن أشهرهن: الشفاء بنت عبدالله[2]، حيث سمح لها الرسول" صلى الله عليه وسلم" بمزاولة عملها بعد إسلامها (كشريد، د.ت، ص260)، ورفيدة بنت سعد الأسلمية[3]، وأم عطية الأنصارية[4]، لقد كان الطب في صدر الإسلام يدور في الأكثر على الوقاية من الأمراض واختيار الأطعمة النافعة، وأصول عيادة المرضى ولزوم استشارة الأطباء (الشطي، 1956، ص135)، ويمكن القول بأن الطب في صدر الإسلام هو"الطب النبوي" وهو مجموعة من الأحاديث النبوية، يبلغ عددها ثلاثمائة حديث، وتحتوي على النصائح الهامة كالحث على المداواة (أحمد، 1990، ص145)، ومعرفة الناس بشؤون دنياهم في هذا المجال واتخاذ الأساليب العلمية في فهمه،

(1) هي مدينة في منطقة خوزستان بناها سابور الأول فنسبت إليه وأسكنها الروم وطائفة من جنده (جواد، 1989، ص30).

(2) هي أول امرأة عربية قامت بممارسة فن التطبيب في الجاهلية، كما قامت بمداوة الجرحى في الغزوات والحروب (أحمد، 1990، ص144).

(3) هي صاحبة أول خيمة طبية متنقلة في صدر الإسلام (أحمد، عبد الرزاق، 1990، ص144).

(4) هي امرأة نصرانية مارست الطب قبل الإسلام، حيث كانت تداوي الجرحى ثم سمح لها الرسول بممارسة مهنتها بعد اسلامها (أحمد، 1990، ص145).

ISSN 2664-1682

أكثر منها ديناً ووحياً، في ضوء وجود المتخصصين من الأطباء (الهواري، 2005، ص192)، وأن ما ورد من مبادئ صحية وغذائية أخذت بها النظريات العلمية الحديثة، واتبعها الأطباء في نصائحهم لمرضاهم، ولا يزال معمولاً بها في مختلف المناطق الإسلامية (حلاق، 1989، ص180).

أما في عصر الدولة الاموية فإن أول من عنى بنقل الطب هو "خالد بن يزيد بن معاوية" حيث دعا جماعة من اليونانيين من مدرسة الإسكندرية، وطلب إليهم أن ينقلوا له كثيراً من الكتب اليونانية (الخربطلي، د.ت، ص365)، ويعد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك أول من بني البيمارستان في الإسلام، وذلك سنة 88هـ، وجعل فيه الأطباء وخصص لهم الأعطيات، كما أعطى كل مقصد [1] خادماً يهتم بأمره، وكل ضر [2] قائداً يسهر على راحته (حسن، 1957، ص51).

وفي عصر الخلافة العباسية، انتشرت الكتب الطبية وكثرت مراكز المعالجة وكثرة الأطباء، واشتهر في زمنها الطبيب النصراني "جرجس" حيث ترجم بعض الكتب الطبية اليونانية إلى اللغة العربية في عهد أبي جعفر المنصور على حد ما جاء في عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة (حلاق، 1989، ص188)، وعلى حسب ما ذكر في كتب التراجم بأن يوحنا بن ماسويه[3] قام بالترجمة للمأمون، "وكان المأمون يعطيه من الذهب وزن ما ينقله من الكتب إلى العربية مثلاً بمثل" (مظهر، د.ت، ص256). وبفضل

([1]) مقصد: بمعنى مكان مخصص إلى المريض البيمارستان (حلاق، 1989، ص221).

([2]) ضر: المريض التي تطول فترة علاجه (حلاق، 1989، ص221).

([3]) هو أهم مدرسي الطب في مدرسة جنديسابور قبل أن ينتقل إلى بغداد ومن أهم مؤلفاته "غل العين" وهو أقدم كتاب في أمراض العيون (مظهر، د.ت، ص200).

ISSN 2664-1682

ذلك وضع أسس التعاليم الطبية، وأسس المسلمون البيمارستانات[1] لتخريج الأطباء (الخربطلي، د.ت، ص ص365-266). وأنشأ أول بيمارستان في الخلافة العباسية في عهد هارون الرشيد ببغداد في نهاية القرن الثامن الميلادي، ثم أخذت تنتشر في مطلع القرن العاشر (الخازن، 1992، ص120)، ويشار بمصطلح الطب الإسلامي إلى الطب الذي تطور في العصر الذهبي للإسلام في عصر الخلافة العباسية وكتب بلغة عربية، والتي كانت لغة التواصل المشترك في زمن الحضارة الإسلامية، ونشأ كنتيجة للتفاعل الذي حدث بين الطب التقليدي العربي والمؤثرات الخارجية (الهواري، د.ت، ص197)، وأن الازدهار التام في هذا العصر شمل جميع المعارف والعلوم وخاصة الطب (محفوظ، 1990، ص248)، مما أدى إلى ظهور عدد من الأطباء الذي برعوا في جميع مجالاته مثل طب العيون، وطب الأطفال، وطب العظام، وطب الأوبئة، وطب الأورام.

والأورام هي نوع من الأمراض الخطيرة التي واجهت الإنسان منذ القدم، إلا أن هناك اختلاف حول ظهور هذا المرض، فمنهم من يقول بأنه موجود من قبل الميلاد واكتشف في مصر حيث عثر على أقدم وصف وعلاج "للأورام" يعود إلى ما يقارب من 1600ق.م وكانت مكتوبة على أوراق البردي (ابراهيم، 2018، ص23)، وعثر أيضاً على مجموعة من أوراق البردي التي تحمل علاجاً لهذا المرض، منها الأوراق التي تحمل الوصفات والتعاويذ السحرية، وذلك للاعتقاد الراسخ في السحر بأن كل دواء تقريباً يقترن تناوله بتعاويذ سحرية (سيف الدين، 1991، ص174)، ومجموعة أخرى توضح طرق علاجه "بالكي" بأداة تسمى حفر النار[2] (ابراهيم، 2018، ص23)، وثم العثور على

(1) حديثاً بمعنى الكليات والمعاهد العملية، وهو لفظ فارسي ذا البيمار، مسكنة المرض وشأن موضع المرطب (الخربطلي، د.ت، ص367).

(2) هي أداة تشبه المسمار تصنع من الحديد وتوضع على النار ثم تستعمل في مكان الورم.

ISSN 2664-1682

ورقة البردي مكتوب عليها بأنه "لا يوجد علاج[1] لهذا المرض"، ويذكر أن أول من شخّص مرض الأورام هو "ابقراط" (460–370ق.م) (ابراهيم، 2018، ص ص16،23).

1.3 تعريف مصطلح الأورام وظهوره في الحضارة الإسلامية:

1.1.3 طب الأورام:

يمثل طب الأورم أحد فروع الطب التي تعني بالسرطان، وتأتي أصل الكلمة من (onklogic) من اللغة اليونانية (onkos) والتي تعني الورم أو الحجم بينما تعني (logos) العلم، ولذلك يطلق عليه دراسة علم الأورام (مجلة الفيصل، 2008، ص ص3،5)، ويقول البعض أن أصل التسمية هي نتيجة تورّم منطقة معينة في جسم الإنسان مما تفقده وظيفته (محمد، 2008، ص100)، والبعض الآخر يرى أن تغير الخلايا في مواصفاتها الطبيعية يؤدّي إلى تغيرات في حمضها النووي، فتسبب تورم على جزء ما في الجسم ومن ذلك جاءت كلمة الورم (محمد، 2008، ص110). والبعض يطلق على هذا المرض الأورام السرطانية، نتيجة تغير وظائف الخلايا السرطانية في جسم الإنسان (أحمد، 1990، ص57)، وهو المسمى الأكثر انتشاراً، والسرطان عبارة عن مجموعة من الأمراض التي تتميز خلاياها بالتوغل والانتشار بمعنى النمو والانقسام الخلوي الغير المحدود (مجلة الفيصل، 2008، ص7).

2.1.3 ظهور المرض:

في عصر الخلافة العباسية استعمل مصطلح الأورام (حلاق، 1989، ص90)، وذلك في عهد المأمون حينما أمر بجمع المخطوطات اليونانية القديمة من كل مكان وأرسل

([1]) بالفعل فإن أغلب الأطباء حديثاً لم يتوصلوا إلى علاج شفائي لهذا المرض.

ISSN 2664-1682

إلى بلاد الروم جماعة من علمائه منهم الحجاج بن مطر، وابن البطريق فأخذوا ما وقع عليه اختيارهم من كتب اليونان القديمة، التي كانت مهملة في بلاد الروم ولا ينتفع بها أحد ونقلوها إلى بغداد (مظهر، د.ت، ص256)، وبعد حركة الترجمة من اليونانية إلى العربية أثبت أن جالينوس تحدث عن الأورام وأطلق عليها الأورام الحميدة، وأما ابقراط دعاها الأورام الخبيثة، وكان ذلك من قبل المترجمين في القرن الثاني الميلادي (الرافعي، 1988، ص292)، ويذكر ابن أبي أصيبعة أن من المخطوطات اليونانية التي نقلت إلى بغداد هي مخطوطة آيا صوفيا[1] التي تقول عن الورم: "إنّ الورم الذي لا يرشح منه شيء هو مركب ولا يعلمون أن الورم إذا حدث في عضو متخلخل أيضاً بمنزلة العين، إن كانت مادته رقيقة، رشح وجرى منه بعضها، وإن كانت غليظة لم ترشح شيء منها" (ابن أبي أصيبعة، 1981، ص137)، وهذا ما يثبت أن مصطلح الأورام قد استعمل فعلاً في عصر الخلافة العباسية نتيجة حركة الترجمة والنقل، ففي هذا العصر صحح الكثير من المفاهيم المغلوطة في الطب، فضلاً عن ما قدموه من الشروح الكثيرة في هذا المجال (محمد، 1991، ص137)، ولعل السبب الذي جعل الأطباء في فترة الخلافة العباسية يهتموا بالأورام هو الترف الذي حصل في هذا العصر، وتنوع الطعام والشراب فتعرضت الأجسام لعدة أمراض فاحتاج المسلمون لدراسة الطب (فروخ، 1990، ص78)، وقد اقتبس العباسيون الطب من الفرس والهنود، ومن ثم ظهرت مهاراتهم في الجراحة وصناعة العقاقير وتركيبها (الهواري، 2005، ص59).

(1) وهي مخطوطات ترجع إلى القرن الثالث الميلادي، قام بترجمتها جالنيوس.

ISSN 2664-1682

3.1.3 أشهر الأطباء في هذا المجال:

يعتبر (الزهراوي)[1] أول طبيب مسلم كان له أسلوبه في معالجة التورمات السرطانية الخبيثة (سليمان، 1990، ص153)، وهو من أعطى لهذا المرض وصفاً وعلامات تستعمل إلى اليوم وقد أشار إليه في كتابه "التصريف لمن عجز عن التأليف" (حلاق، 1989، ص151) الذي اكتمل في نهاية القرن العاشر، وقد نقل معلومات عنه "الحميدي" ومؤلفو تراجم لاحقون أمثال (ابن أبي أصبيعة) دون إضافة أية معلومات هامة (محفوظ، 1990، ص96)، ويعتبر الزهراوي أستاذ أطباء أوروبا بواسطة كتابه " المترجم" لمدة خمسة قرون، حيث تأثر العديد من الأطباء بما جاء في كتابه الذي ساعدهم على وضع أسس الجراحة في أوروبا فيما بعد (سليمان، 1990، ص156).

ويعتبر كتاب التصريف دائرة معارف طبية كبيرة وذلك أنه يضم أقساماً ثلاثة : قسم في الطب وقسم في الصيدلة والقسم الثالث في الجراحة وهذه الأقسام مقسمة إلى ثلاثين مقالة (العمري، 1990، ص94) ، والمقالة الثلاثون اشتهرت في الجراحة وهي مقالة من ثلاث أبواب وتضم في مجموعها 188 فصلاً، وما يقرب من مائتي صورة توضيحية للآلات الجراحية (الطيبي، 1986، ص91-92) لقد شرح الزهراوي فن العمليات الجراحية ووصف آلاتها وخاصة جراحة الأورام ومن ذلك ما ذكره عن تورم الرحم فيقول الزهراوي في ذلك:"طريقة الشق على هذا الورم وعلاجه بالجراحة، ونصح بعدم إجراء العملية الجراحية إلا بعد نضوج الورم وتحلله" (الشطشاط، 1995، ج2، ص 522)

(1) هو أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي (940هـ/ 1013م) ولد في المدينة الملكية ودرس وعلم ومارس الطب والجراحة حتى وقت قليل من وفاته (فروخ، 1990، ص101).

ISSN 2664-1682

(plvnging ranvla)، وفي طب وجراحة أورام الفم فعن ورم الضفدع المتولد تحت اللسان يصف طريقة إجراء العملية الجراحية على هذا الورم بقوله:

"أن تفتح فم العليل بإزاء الشمس وتنظر إلى الورم فإن رأيته كمد اللون أو أسود صلباً لا تجد له حساً فلا تعرض له فإنه سرطان، وأن كان مائلاً إلى البياض ففيه رطوبة فألق فيه الصنارة وشقه بمبضع لطيف وخلصه من كل جهة، فإن غلبك الدم في حين عملك فضع عليه زاجاً مسحوقاً حتى ينقطع الدم، ثم عد إلى عملك حتى تخرجه بكامله ثم يتمضمض بالخل والملح، ثم تعالج بسائر العلاج الموافق" (الشطشاط، 1995، ج2، ص 599).

أما عن سرطان الأنف وبواسيره ونواصيره فقد تطرق الزهراوي لعلاج ناصور الأنف ويرى أنه إذ عولج بالكي أو الدواء المحرق ولم يفد ذلك فيجب إجراء العملية الجراحية إذ قال: "أن تشق على الورم عند نضجه ويستخرج جميع الرطوبة التي فيه أو القيح حتى ينكشف العظم، فإذا انكشف العظم ورأيت فيه فساداً أو سواداً فجرده بآله..." (الشطشاط، 1995، ج2، ص559)، وأما عن الزوائد اللحمية في الأنف فقد تحدث الزهراوي عن ذلك فيذكر: قد تثبت في الأنف لحوم مختلفة زائدة منها شيء يشبه العقربان الكثير الأرجل ، ومنها ما يكون لحماً سرطانياً متحجراً كمد اللون، ومنه ما يكون لحماً ليناً غير كمد اللون فإن كانت هذه اللحوم لينة ليست بخبيثة ولا سرطانية، فينبغي أن تجلس العليل بين يديك مستقبل الشمس وتفتح منخرة وتلقي الصنارة في تلك اللحوم، ثم تجذبها إلى الخارج، ثم تقطع ما أدركت منها بمبضع لطيف حاد من جهة واحدة حتى تعلم أن اللحم كله قد ذهب، فإن بقى منه شيء لم تستطع قطعه فأجره بأخذ الآلات اللطاف ويرفق حتى لا يبقى منه شيء (الشطشاط، 1995، ج2، ص556)، وفي أورام اللهاة أو الأورام الليفية، فقد ذكر الزهراوي أن أوام اللهاة يكون على ثلاثة أنواع: "إما أن يتورم

ISSN 2664-1682

رأسها فيسمى ورماً عينياً وإما أن يتورم أسفلها فيسمى ورماً صلباً، وإما ما أن يتورم بكليتها فيسمى ورماً اسطوانياً" (الشطشاط، 1995، ج2،ص573) .

أما (ابن سينا) (980-1037) وهو أول من نصح الجراحين بمعالجة أورام السرطان في بدايته وذلك بالتأكد من استئصال كل الأنسجة المريضة (محفوظ، 1990، ص290)، ومن أعظم أعماله الطبية كتاب"القانون في الطب" وهو بمثابة مخطوط ذي مليون كلمة، ولقد تقبل العالم الطبي الإسلامي القانون كمرجع وحيد حتى القرن التاسع عشر، كما استخدمته الحضارة الغربية لمدة تزيد على الخمسمائة سنة (محفوظ، 1990، ص291).

و(ابن النفيس)، الذي اهتم بدراسة هذا النوع من الأمراض، وتميزت دراسته بأصالة الرأي واعتمد على المشاهدة والرصد، واهتم أيضاً بدراسة الظواهر، والعوامل المؤثرة عليها في الجسم أكثر من اهتمامه بموضوع الطب العلاجي، ولا يأخذ برأي إلا على أساس علمي سليم (فخري، 1994، ص94)، وأهم مؤلفاته: الموجز وهو ملحق لقانون ابن سينا، وشرح تشريح القانون (فخري، 1994، ص95).

كما بحث "علي بن العباس" المعروف بابن المجوسي (384هـ/944م) عن مرض الأورام، أعطى لهذا المرض تشخيصاً ممتازاً له بعد دراسته الأعراض الظاهرة له (فروخ، 1990، ص170)، وكان متصلاً بالسلطان فناخسرو في عصر الدولة البويهي، وله كتاب "المكي" والذي يقع في عشرين مقالة، ويتميز عن غيره من كتب الطب بالوضوح والدقة (أبو طه، د.ت، ج2، ص399).

ISSN 2664-1682

2.3 العوامل والأسباب المؤدية إلى انتشار الأورام في رأي الأطباء المسلمين

1.2.3 العوامل:

قبل أن يعرف العالم العوامل المسببة، أو المساعدة في حدوث الأورام "السرطان" بأكثر من أربعة عشر قرناً ولحماية المجتمع من ويلات هذا المرض الخبيث، نهى الإسلام عن بعض السلوكيات والتصرفات الشاذة (محمد، 2008، ص124)، فقد حرم الإسلام الخمر؛ لأنه هو السبب الرئيسي لسرطان المريء وسرطان المعدة (الشريقي، 1971، ص23)، وجاء التحريم النهائي والكامل في قوله سبحانه وتعالى:"**يَأَيُّهَا الذِّينَ آمَنُوْا إِنَّمَا الخَمْرُ وَالَمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشّيطَان فَاجْتَنبُوهُ لَعَلّكُم تُفْلِحُونَ**" (سورة المائدة، الآية 92)، كما حرم أكل لحم الخنزير الذي أثبتت الأبحاث الحديثة بأن الإفراط في تناول الدهون الحيوانية التي مصدرها لحم الخنزير يؤدي إلى الإصابة بالسرطان كسرطان المعدة (محمد، 2008، ص130)، يقول تعالى: "**إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ المَيْتَة وَالدَّمَ وَلَحْمَ الخِنْزِيرَ**" (سورة البقرة ، الآية 172).

2.2.3 أسباب الأورام:

– يقول بعض الأطباء المسلمين إن كثرة الجلوس في الشمس (الشريقي، 1971، ص28)، يسبب مرضاً جلديًّا ثم يتحول إلى ورم[1]، وأخرج ابن السني وأبو نعيم في الطب النبوي عن عمر بن الخطابﷺ قال: "لا تطيلوا الجلوس في الشمس فإنها تغير اللون وتفيض الجلد وتبلي الثوب، وتبعث الداء الدفين" (ابن قيم الجوزية، 2002، ص40).

([1]) أثبت بعض الدراسات الحديثة أن أشعة الشمس تسبب في سرطان الجلد.

ISSN 2664-1682

– الإسراف في الأكل والشراب يؤدي إلى فقدان الخلايا مواصفاتها الطبيعية فتسبب الأورام (مجلة الفيصل، 2008، ص20)، وذلك على حسب ما أورده الزهراوي في كتابه [1]، وقد حث الإسلام على الاعتدال في الطعام والشراب وعلى العناية في تناولهما ومراعاة آدابهما (فروخ، 1991، ص140).

– وقد ذكر الرازي أن العدوى الوراثية هي سبب انتشار المرض، ولم تكتمل الآراء التي يوردها نتيجة لجهوده الخاصة فقط، وإنما نجد حين يتحدث عن مرض من الأمراض يقوم أولاً بجمع الآراء التي ذكرت عن المرض، ثم يبدأ بعد ذلك في عرض رأيه والتجارب التي أجراها والمشاهدات التي توصل إليها كنتيجة عملية للتشخيص والعلاج (محمد، 1991، ص96).

– وللمناخ والبيئة دور في انتشار الأورام وذلك عندما يحل الجفاف والقحط في منطقة ما (مجلة الفيصل، 2008، ص24)، فيفقد الإنسان تعادل المواد الكيميائية في جسمه، يقول جابر بن حيان: "أن تعادل المواد الكيميائية في جسم الإنسان يعتبر حصانة من الأمراض فمتى حصل التعادل وجد الإنسان مناعة قوية ضد الأمراض الخطيرة مثل البرص، والجذام، والأورام. وغيرها" (حلاق،1989، ص190). ومن حكمة الله عز وجل أن فرض الوضوء للصلاة، فقد أثبت العلم الحديث أن الوضوء يقلل من حدوث الأورام السرطانية التي تسببها المواد الكيميائية (محمد، 2008، ص115)؛ لأن الوضوء خمس مرات في اليوم يكفل إزالة المواد من فوق سطح الجلد (ابن قيم الجوزية، 2002، ص149).

([1]) فقد اثبت الدراسات الحديثة أن الإفراط في الطعام فوق حد جسم الإنسان تسبب خمول في خلايا الجسم ومن تم تتحول إلى أورام.

ISSN 2664-1682

3.3 طرق علاجه في الحضارة الإسلامية.

اختلفت طرق علاج الأورام من منطقة إلى أخرى، فالبعض منها اعتمد على الكي والبتر والفصد[1] والحجامة والحمية[2]، ويرى الزهراوي أن علاج الأورام عن طريق الأدوية والتخدير، وعن الحديد حتى يتقرح (حلاق،1989، ص198)، أما ما أخذ عن الطب الهندي في علاج الأورام في فترة الحضارة الإسلامية هو استخدام الأعشاب والكي (محمد، 2008، ص154)، والطب الصيني اعتمد على الأدوية النباتية والكي، وحين يعالج بعض الأطباء المسلمين الأورام بتعريض المناطق المصابة لأشعة الشمس لغرض عدم انتقالها إلى جهة أخرى في الجسم (محمد، 2008، ص154)[3].

وأما ما جاء في كتاب (علي بن عباس الزهراوي) الذي تكلم فيه عن حفظ الصحة، والتي هي أهم وسائل العلاج لهذا المرض حيث أكد على ممارسة الرياضة لحفظ الأبدان، وحذر من ممارستها بعد الأكل مباشرة (حلاق،1989، ص192)، ويرى بعض أطباء المسلمين بأن الطريقة الوحيدة لعلاج هذا المرض هو الإكثار على الوقاية بالحث على النظافة وسلامة البدن (فروخ، 1991، ص143)، كما قام (عبد الملك بن أبي زهر الملقب بأبي مروان) بدراسة مفصلة عن مرض السرطان في المعدة والبلعوم، أدهشت علماء وأطباء العصر الحديث، وقد استطاع أطباء مسلمون بتنظيف المعدة التي تعرضت للأورام باستخدام أنبوب المعدة، وكانوا يدركون تماماً مبادئ علاج العضو بالعضو، وهذه الطريقة في المعالجة التي نسبت في أوائل القرن العشرين إلى (براون سيبكوارد) كان الأطباء المسلمون قد اطلعوا عليها وطبقوها قبل عدة قرون (حلاق، 1989، ص190).

(1) الفصد: قطع العرق أو شقة لاستخراج مقدار من الدم لغرض العلاج (الشطشاط، 1995، ص18).

(2) الحمية: هي الإقلال من الطعام ونحوه مدة معينة (الشطشاط، 1995، ص18).

(3) وهي أساس تقنيات التصوير الإشعاعي حديثاً.

ISSN 2664-1682

وهناك فئة ترى أن سبب هذا المرض من السحر والشعودة، ولهذا كانت تستخدم بعض العقاقير وأدوية نباتية أو معدنية (الشطشاط، 1995، ص72)، وكذلك استخدمت هذه الفئة الخرزات والأحجار، وذلك للتخلص من بعض الآلام والوقاية من الإصابة بالعين والآفات (النجار، 1989، ص53). ثم ظهرت جراحة الأورام وبلغت ذروتها في الحضارة الإسلامية، ويعتبر الزهراوي أشهر جراحي المسلمين حيث اخترع كثيراً من الآلات الجراحية ورسمها في كتابه، وقال عنه العالم الطبيعي (هللر): كان هو المصدر العام لجميع من ظهر من الجراحين (الرافعي، 1988، ص292)، وهو من أعظم أطباء المسلمين الذين عرفوا طريقة استئصال الورم بالجراحة (كفاجي، 1970، ص59). أما (عباس الأهوازي) فقد اهتم أيضاً بطب الجراحة، ووصف علاج قطع الشريان والورم المسمى (انورسما Aneurysm)، إلا أن الكي بالنار قد احتل الصدارة عند بعض الاطباء، مع وصف الأعشاب والأدوية النباتية (الشريقي، 1971، ص24). واستخدم الاطباء في العصر العباسي مواد لكي تجري الجراحة وهي المخدرات كالحشيش والأفيون، وأما الآلات الجراحية التي استعملها الأطباء في هذا العصر فأشهرها: (المحك) ويستعمل لحك الأجفان، (والمثقب)، للثقب، (والمشرط) لشق الأورام (طوقان، د.ت، ص25).

وأكد (ابن حيان) أن التركيبات الكيميائية الصحيحة هي التي تمنع الأمراض الخطيرة وتساعد الجسم على المقاومة (فخري، 1994، ص97). أما (الرازي) فيرى بأن التغذية الصحيحة هي السبب في الوقاية من أي مرض، وأن تناول الإنسان اللحم الذي يعتبر من أهم أنواع الغذاء وأوفرها نفعاً، وهو أمر قد أكده علم التغذية الحديث (المجذوب، 1976، ص168).

ISSN 2664-1682

4. الخاتمة:

توصلت الدراسة عن الطب وجراحة الأورام عند المسلمين للنتائج التالية:

- أوضحت الدراسة أن مصطلح الأورام قديم لم يظهر حديثاً فقد استعمله الأطباء في فترة الحضارة الإسلامية تحديداً في القرن الرابع الهجري.
- بيّنت الدراسة أن الورم الذي لا ينتشر؛ سمّى بالورم الحميدي، أما السرطان فهو الذي ينتشر بسرعة في الجسم، وكان اكتشافه وتشخيصه في فترة ما قبل الميلاد.
- وأظهرت الدراسة أن ما جاء من النصائح الطبية لا يزال معمولاً بها في الوقت الحاضر، وهي التي أخذها المسلمون عن الطب النبوي اقتداء بالرسول الكريمﷺوبالنسبة لعلاج الأورام أوضحت الدراسة أنها علاجات لا يزال يعمل بها في هذا العصر فمثلاً: الكي والتعرض لأشعة الشمس؛ فهو حالياً ما يشبه التصوير الإشعاعي أو استخدام الليزر، والتركيبات الكيميائية حالياً ما يعرف بالكيمياوي، والفصد حالياً ما يشبه استئصال الجزء المتورم.
- وأظهرت الدراسة أن جراحة واستئصال الأورام بلغت ذروتها في الحضارة الإسلامية وظهر العديد من الجراحيين المسلمين، وابتكروا كثيراً من الآلات الجراحية، وكانوا هم المصدر الأساسي لجميع من ظهر من الجراحين من بعدهم.

ISSN 2664-1682

المراجع

القرآن الكريم: برواية قالون عن نافع.

ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس (1981). *عيون الأنباء في طبقات الأطباء*. القاهرة: دار الثقافة.

ابن قيم الجوزية، (د.ت). *الطب النبوي*. تحقيق: عبد المجيد، بيروت: دار المعرفة.

الأندلسي، صاعد أبو القاسم أحمد (1985). *طبقات الأمم*، تحقيق: حياة بو علوان بيروت: دار الطباعة.

إبراهيم، أحمد (2018) *كيف تطور الطب في الإسلام*.

History, https://www.zliyazeera.het(2018-2-23)

أحمد، أحمد عبد الرزاق (1991). *الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى*. القاهرة: دار الفكر العربي.

جواد، على (1971). *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام*، ج8، بغداد: مكتبة النهضة.

حتى، فليب (1986). *تاريخ العرب*. بيروت: د.ن.

حسن، حسن إبراهيم (1957). *تاريخ الإسلام*. ج1، ط4، القاهرة: د.ن.

حلاق، حسان (1989). *دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية*. بيروت: دار النهضة العربية

ISSN 2664-1682

حلاق، حسان، وآخرون (1991). *مقدمة في تاريخ العرب السياسي والاقتصادي والاجتماعي والديني والعلمي*. بيروت: المحروسة للطباعة والنشر.

الخارن، وليم (1992). *الحضارة العباسية*. ط2، د.م: دار المشرق.

الخربوطلي، علي حسني (د.ت). *الحضارة العربية الإسلامية*. القاهرة: مكتبة الخانجي.

الرافعي، مصطفى (1988). *حضارة العرب*. ط4، بيروت: الشركة العالمية للكتاب.

سليمان، عباس (1990). *دراسات في تاريخ العلوم عند العرب*. بيروت: دار النهضة.

سيف الدين، إبراهيم نمير (1991). *مصر في العصور القديمة*. القاهرة: مكتبة مدبولي.

الشريقي، إبراهيم (1971). *التاريخ الإسلامي خلال أربعة عشر قرناً–منذ العهد النبوي حتى العصر الحاضر*. ط4، د.م.

الشطشاط، علي (1995). *تاريخ الجراحة في الطب العربي*. بنغازي: جامعة قاريونس.

الشطي، شوكت موفق (1956). *تاريخ الطب القديم*. دمشق: د.ن.

طوفان، قدري حافظ (د.ت). *العلوم عند العرب*. القاهرة: دار إقرأ.

الفاضل، عمر (1989). *الطب الإسلامي عبر القرون*. الرياض: دار الشواف للطباعة.

فخري، نجاة وآخرون (1994). *عباقرة من التاريخ*. بيروت: مكتبة بيسان.

فروخ، عمر (1981). *العرب في حضارتهم وثقافتهم*. ط2، بيروت: دار العلم للملايين.

فروخ، عمر (1990). *تاريخ العلوم عند العرب*. بيروت دار النهضة.

كشريد، صلاح الدين (د.ت). *الطب النبوي*. ط16، د. م: د.ن.

ISSN 2664-1682

كفاجي، محمد عبد السلام (1971). *الحضارة العربية ومقوماتها العامة*. بيروت: دار النهضة العربية.

المجذوب، عبد العزيز (1976). *الرازي من خلال تفسيره*. طرابلس: الدار العربية للكتاب.

مجلة الفيصل (2008) مركز الفيصل للدراسات العلمية. الكويت ع21.

محفوظ، عبد الكريم (1990). *عبقرية الحضارة العربية منبع النهضة ا لأوروبية*. بنغازي: دار الكتب الوطنية.

محمد، ماهر عبد القادر (1991). *دراسات وشخصيات في تاريخ الطب العربي*. الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

محمد، محمود الحاج قاسم (2008). *الأورام والسرطان وعلاجه في الطب العربي الإسلامي*. القاهرة: د.ن.

مرحبا، محمد عبد الرحمن (1988). *الجامع في تاريخ العلوم عند العرب*. ط2، بيروت: منشورات عويدات.

مظهر، جلال (د.ت). *حضارة الإسلام وأثرها في الترقي العالمي*. القاهرة: مكتبة الخانجي.

موازي، حميد وآخرون (1974). *قراءات في تاريخ العلوم عند العرب*. الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر.

النجار، عمار (1987). *في تاريخ الطب في الدولة الإسلامي*. القاهرة: د.ن.

الهواري، أحمد إبراهيم (2005). *من تاريخ الطب الإسلامي*. د.م: مكتبة نرجس.

هونكة، زيغرد (1991). *شمس العرب تستطع على الغرب*. د.م: دار الأفاق.

ISSN 2664-1682